www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (البقرة: 269)

حكمة بالغة

الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم

تأويل إصطلاحي

تأليف

د. رواء محمود حسين

1435 هـ - 2014 م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (البقرة: 269)

حكمة بالغة

الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم

تأويل إصطلاحي

تأليف

د. رواء محمود حسين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حكمة بالغة

الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم: تأويل إصطلاحي

رواء محمود حسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ }

[القمر: 5]

الإهداء

إلى (أهل القرآن ... أهل الله وخاصته)

الذين هاموا بالقرآن الكريم حباً

فأشغلوا به نهاراتهم

وأناروا به ظلمة لياليهم

واتخذوه منهجاً للإيمان وللعمل

أهدي هذه (الحكمة البالغة)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }، [آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: 70 – 71].

أما بعد[1]:

[1] ما تقدم هو خطبة الحاجة سنة نبوية، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها لأصحابه. أنظر: أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ، (2118)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]، النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (1404)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص 165، البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ، 7/ 164، غير مرفوع، الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ، 208/7، (تفرد به عفان عن شعبة)، النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ، ص355، إسناده صحيح، الألباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"،

يعد القرآن الكريم كتاب الحكمة الاسلامية الأول، والاساس الذي تستمد منه القيم الاسلامية، وهو الصراط المستقيم، والقسطاس القويم الذي يعتمد عليه العقل المسلم في فهم ما كان وما يكون وما سيكون، وبه قام المؤمنون أمراً ونهياً طاعة وقربة لله سبحانه. قدّم القرآن الكريم شبكه هائلة مترابطة من المفاهيم المتعلقة بالابعاد الكبرى: التوحيد والنبوة والمعاد، وعلوم الفقه والاحكام والتاريخ والقصص والمستقبليات وغيرها، ولذلك فهو المصدر الأول لعلم الحكمة الاسلامية وللعقل المسلم في مناقشة كل القضايا التي تعترضه.

في هذا الكتيب الموسوم: "حكمة بالغة: الإعلان عن علم الحكمة في القرآن الكريم: مقاربة إصطلاحية" نعلن، وربما لأول مرة، عن علم جديد من علوم القرآن الكريم، والذي اصطلحنا على تسميته ب(علم الحكمة القرآنية) لينضم إلى بقية العلوم القرآنية، ولكي يندفع المتخصصون في الدراسات القرآنية باتجاه المزيد من الكشوفات العلمية في مجال الحكمة القرآنية.

وهذا العلم، أي (علم الحكمة القرآنية) متفرع بالأصل عن العلم الذي أسميناه ب(علم الحكمة الإسلامية)، إذ يعد كتاب: "العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة الإسلامية" [2] أول كشف علمي لهذا العلم، ومن ثم أعقبته المحاولة الثانية في كتابنا الموسوم: "شرعة ومنهاج: أصول المنهج العلمي في علم الحكمة الإسلامية" [3].

الهدف الرئيس لعلم الحكمة القرآنية أن يقدم التصور الآتي: القرآن الكريم كله علم وكله حكمة، ومن ثم يتعين على المتخصصين إعادة اكتشاف علوم جديدة في

ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ، ص 255، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1421 – 2000 م، ص 3.

[2] ط1، دار ناشري للنشر الأليكتروني، الكويت، 1434 هـ – 2013 م.

[3] ط1، دار ناشري للنشر الاليكتروني، الكويت، 1435 هـ – 2014 م.

القرآن الكريم بما يساهم في عملية تجديد الدراسات القرآنية، ودفعها إلى مزيد من الإنتاج العلمي.

نسأل الله سبحانه أن يجعل كل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الناس كافة.

رواء محمود حسين

29/شوال/1435 هـ

2014/8/25 م

(1)

مدخل

ما علم الحكمة القرآنية؟

توحيد الله سبحانه وإخلاص العبادة له القضية الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم. فالله تَعَالَى وَاحِد لَا من طَرِيق الْعدَد وَلَكِن من طَرِيق انه لَا شريك لَهُ لم يلد وَلم يُولد وَلم يكن لَهُ كفوا أحد. وهو لَا يشبه شَيء من الْأَشْيَاء من خلقه وَلَا يُشبهه شَيْء من خلقه لم يزل وَلَا يزَال بأسمائه وَصِفَاته. [4]

ويبدأ الحديث عن التوحيد في القرآن الكريم منذ أول سورة فيه، أي سورة الفاتحة. فقد قال الله تعالى: { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1)الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)} [الفاتحة: 1-7].

فالشكر لله سبحانه، وهو رب العالمين أي من الأنس والجن، الرحمن أي المترحم، والرحيم أي المتعطف بالرحمة. وهو مالك يوم الدين: أي يوم الحساب، وقد اختص الله سبحانه بملك ذلك اليوم لأن ملوك الدنيا يملكون فيها فأخبر الله سبحانه أنه لن يملك أحد ذلك اليوم إلا هو جل شأنه. ولذلك فله وحده العبادة، { إِيَّاكَ نَعْبُدُ

[4] ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: 150هـ): الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، ط1، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، 1419هـ - 1999م، ص 14.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

}، والتوحيد، وبه وحده الاستعانة سبحانه. ولذلك نسأله سبحانه الهداية إلى الصراط المستقيم، أي دين الاسلام. وأن يجنبنا طريق الذين غضب عليهم والذين ضلوا الصراط المستقيم أيضاً. [5]

وقد ذكر ابن القيم أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ اشْتَمَلَتْ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ بأبلغ طريقة. فَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّعْرِيفِ بِالْمَعْبُودِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ، مَرْجِعُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا إِلَيْهَا، وَمَدَارُهَا عَلَيْهَا، وَهِيَ: اللَّهُ، وَالرَّبُّ، وَالرَّحْمَنُ، وَبُنِيَتِ السُّورَةُ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالرَّحْمَةِ، فَـ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } [الفاتحة: 5] مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِلَهِيَّةِ، { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: 5] عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ، وَطَلَبُ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وَالْحَمْدُ يَتَضَمَّنُ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ، فَهُوَ الْمَحْمُودُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَالثَّنَاءُ وَالْمَجْدُ كَمَالَانِ لِجَدِّهِ.وَاشتملت إِثْبَاتَ الْمَعَادِ، وَجَزَاءَ الْعِبَادِ بِأَعْمَالِهِمْ، حَسَنِهَا وَسَيِّئِهَا، وَتَفَرُّدَ الرَّبِّ تَعَالَى بِالْحُكْمِ إِذْ ذَاكَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَكَوْنَ حُكْمِهِ بِالْعَدْلِ، وَكُلُّ هَذَا تَحْتَ قَوْلِهِ { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة: 4] . وَتَضَمَّنَتْ إِثْبَاتَ النُّبُوَّاتِ مِنْ جِهَاتٍ عَدِيدَةٍ: أَحَدُهَا: كَوْنُهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَتْرُكَ عِبَادَهُ سُدًى هَمَلًا لَا يُعَرِّفُهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ فِيهِمَا، فَهَذَا مناف لِلرُّبُوبِيَّةِ، وَنِسْبَةُ الرَّبِّ تَعَالَى إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَمَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ نَسَبَهُ إِلَيْهِ.[6]

ولذلك يمكن تعريف الْعِبَادَة، أنها: "اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة. فَالصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحج وَصدق الحَدِيث وَأَدَاء الْأَمَانَة وبرّ الْوَالِدين وصلَة الْأَرْحَام وَالْوَفَاء بالعهود وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي

[5] ينظر: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت 150هـ): "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث – بيروت، 1423 هـ، ص 36.

[6] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1416 هـ – 1996م، 31/1.

عَن الْمُنكر .. وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسكين وَابْن السَّبِيل والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم وَالدُّعَاء وَالذكر وَالْقِرَاءَة وأمثال ذَلِك من الْعِبَادَة، وَكَذَلِكَ حب الله وَرَسُوله وخشية الله والإنابة إِلَيْهِ وإخلاص الدَّين لَهُ وَالصَّبْر لحكمه وَالشُّكْر لنعمه وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ والتوكل عَلَيْهِ والرجاء لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْف من عَذَابه وأمثال ذَلِك هِيَ من الْعِبَادَة لله".[7]

ولذلك أمر الله سبحانه بالاستجابة لعبوديته، فقد قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) } [البقرة: 21- 22].

أي أن الأمر الإلهي هو بالاستكانة، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة، والخضوع له بالطاعة. لأنه تعالى هو خالقهم وخالقُ مَنْ قبلهم من آبائهم وأجدادهم، وخالقُ أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم. فقال لهم سبحانه: فالذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادَكم وسائرَ الخلق غيرَكم، وهو يقدرُ على ضرّكم ونَفعكم – أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نَفع ولا ضرّ.[8]

ولذلك ينبغي أن نقول أن أجل علم أخذ عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معرفة الله تعالى وعلم ذاته وصفاته وأفعاله، وذلك علم يختص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنه علم ليست له وسائل أو الآت، أو تجارب عند البشر، ولا

[7] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ): "العبودية"، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الطبعة السابعة المجددة، المكتب الإسلامي – بيروت، 1426هـ – 2005م، (هذه الرسالة مطبوعة أيضًا ضمن "مجموع الفتاوى" 149/10، وفي "الفتاوى الكبرى" 155/5)، ص 44.

[8] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ – 2000 م، 1/ 362.

يتناوله القياس أو يستفاد بالفطنة والذكاء، فالله تعالى منزه عن مشابهة الأشباه والنظائر، وهو بعيد عما عرفه البشر من عالم الحس والتجربة. علم التوحيد هو أجمل علم وقف عنده الانسان، لأنه الاساس للعقائد والاخلاق والمدنية وهو الذي به يعرف الانسان نفسه، ويفك لغز الكون ويكشف عن سر الحياة، وبه يعرف الانسان مركزه في هذا الكون، ويضع منهاج حياته، ويحدد غاياته في ثقة وبصيرة، ووضوح ويقين. [9]

وقد تضمنت سورة الفاتحة الإشارة إلى (الصراط المستقيم)، وقد ذكر الطبري في تأويله عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال جبريل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: " قل، يا محمد { ٱهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } . يقول: ألهمنا الطريق الهادي. وإلهامه إياه ذلك، هو توفيقه له. ومعناه نظيرُ معنى قوله: { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ْ }، في أنه مَسألةُ العبد ربَّه التوفيقَ للثبات على العمل بطاعته، وإصابة الحق والصواب فيما أمَره به ونهاه عنه، فيما يَستَقبِلُ من عُمُره، دون ما قد مضى من أعماله. كما في قوله: { إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }، مسألةٌ منه ربَّه المعونةَ على أداء ما قد كلَّفه من طاعته، فيما بقي من عُمُره. فكانَ معنى الكلام: اللهمّ إياك نعبدُ وحدَك لا شريك لك، مخلصين لك العبادةَ دونَ ما سِواك من الآلهة والأوثان، فأعِنَّا على عبادتك، ووفِّقنا لما تحب وترضى. [10]

عَنْ الحَارِثِ، قَالَ: مَرَرْتُ فِي المَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ، قَالَ: وَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ» . فَقُلْتُ: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

[9] أبو الحسن الحسني الندوي: " العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية"، ط2، دار القلم، الكويت، 1403 هـ – 1983 م، ص 57.

[10] تفسير الطبري، 166/1.

قَالَ: " كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، [ص:173] وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ } [الجن:1- 2] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ».[11]

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُومُ الْعَبْدُ فَيَقُولُ: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } فَيَقُولُ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي. فَيَقُولُ { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } فَيَقُولُ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. فَيَقُولُ { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } فَيَقُولُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَهَذَا لِي، وَبَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة: 5] وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، يَقُولُ: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)} [الفاتحة: 7] ": «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».[12]

---

[11] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395 هـ - 1975 م، 5/ 172، حديث (2609)، وقارن مع تفسير القرطبي، 5/1.

[12] سنن الترمذي، 5/ 201، حديث (2953)، وقارن: مع القرطبي (ت 671 هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة ، 1384هـ - 1964 م ، 1/ 94.

وعن أبي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». [13]

ولذلك جاء في فضل سورة الفاتحة من كتاب الله سبحانه الشيء العجيب، فعَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟ "، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ» ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ» قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ». [14]

في المفهوم الدقيق للحكمة القرآنية:

[13] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" المعروف ب (صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ، 1/ 534، حديث (220).

[14] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر،ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر]، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه، 6/ 187، حديث (5006).

الحكمة في القرآن الكريم، وبحسب ما ذهب إليه المفسرون، تأتي في سياق إما أن تكون هي الوحي نفسه، أي القرآن الكريم أو السنة النبوية، أو أن تكون الفهم العقلي والانساني الناتج عن التأمل في الوحي وتطبيقه. وبهذا يمكن أن نقول فهي إصابة القرآن الكريم، أي التحقق من المفهوم الدقيق للآية القرآنية وصولاً إلى أقرب دلالة للوحي من أجل أن يكون تطبيق هذه الدلالة في الواقع المنظور تطبيقاً صحيحاً.

وقد أجاب الشافعي في كتابه: "الرسالة" عن السؤال الآتي: فَإِنَّا نَجِدُ مِن الأحاديثِ عَن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديثَ في القُرآن مِثْلُها نَصًّا، وأخْرَى في القُرآن مثلُها جُمْلةً، وفي الأحاديث منها أكثرَ مِمَّا في القُرآن، وأخرى ليس منها شيء في القُرآن، وأخرى مُتَفِقَةٌ، وأخرى مُخْتلفةٌ: ناسِخة ومَنْسوخَة، وأخرى مختلفة: ليس فيها دِلالةٌ على ناسخٍ ولا منسوخ، وأخرى فيها نَهْيٌ لِرسول الله، فتقولون: ما نَهَى عنْه حَرَامٌ، وأخرى لرسول الله فيها نهْيٌ، فتقولون: نَهْيُه وأمره على الاختيار لا على التَّحْريمِ، ثم نَجِدُكم تذهبون إلى بعْض المُخْتَلِفة مِن الأحاديث دون بعْضٍ، ونجدكم تَقِيسُون على بعْضِ حَديثه، ثم يَخْتَلِف قِياسُكم عليها، وتَتْرُكون بعْضاً فلا تَقِيسون عليه، فَمَا حُجَّتُكُمْ في القياس وتَرْكِه؟ ثم تفْتَرِقون بعد ذلك: فمِنكُمْ مَنْ يَتْرُك مِن حديثه الشيءَ ويَأْخُذ بمثل الذي تَرَكَ وأَضْعَفَ إسْنادًا مِنه. فأجاب الشافعي: فقلتُ له: كلُّ ما سَنَّ رسولُ الله مَعَ كِتاب الله مِن سنةٍ فهي مُوَافِقة كتابَ الله في النصِّ بِمِثْلِهِ، وفي الجُمْلة بالتَّبْيِينِ عَن الله، والتبيينُ يكون أكثرَ تَفْسِيراً مِن الجُمْلة. وما سَنَّ مِمَّا ليس فيه نصُّ كتابِ الله فبِفرض الله طاعتَه عامَّةً في أمْرِه تَبِعْنَاه. وأما الناسِخةُ والمنسوخة مِنْ حديثه فهي كما نَسَخَ اللهُ الحُكْمَ في كِتابه بالحكم غيْرِه من

كتابه عامةً في أمْرِه، وكذلك سنةُ رسولِ الله تُنْسَخُ بِسنتِه. وذَكَرْتُ له بعضَ ما كتبْتُ في كِتابي قَبْلَ هذا مِن إيضَاح ما وَصَفْتُ.[15]

وهذه الحكمة تامة كاملة لأنها حكمة إلهية. وكمالها يأتي من كمال الدين نفسه، فقد قال الله تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } [المائدة: 3]، وبهذا فالحكمة الاسلامية موضع اغتباط الإنسان المسلم، فعن الزُّهْرِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى [ص:26] هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا". سواء حين تطلق على القرآن الكريم، أو على السنة النبوية، أو الدين، أو الفقه، أو إصابة الوحي في القول والعمل، أو العلم بأحكام الشريعة وتطبيقها.[16]

تكتسب هذه الحكمة الاسلامية صفة الإلزام في الأتباع من الأمر الإلهي المتكرر بوجوب طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال الله تعالى: { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32) } [آل عمران: 32]، وقال سبحانه: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ } [آل عمران: 132]، وقال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59) } [النساء: 59]، وقال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا } [المائدة: 92]، وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) } [الأنفال: 20].

[15] الشافعي (ت 204 هـ): "الرسالة"، تحقيق أحمد شاكر، ط1، مكتبه الحلبي، مصر، 1358هـ/1940م، ص 210.

[16] البخاري: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، 1/ 25، حديث (73).

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ». [17]

وبهذا المعنى بالذات فالحكمة القرآنية مرادفة لمعنى الإيمان، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ» ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ تَلَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 34] " قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ» ، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ». [18]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ

[17] نفسه، 1/ 12، حديث (14).

[18] مسلم بن الحجاج: "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، حديث (5).

أَرْسَلَكَ، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللهُ» ، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللهُ» ، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «اللهُ» ، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا، وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «صَدَقَ» ، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ».[19]

وعن مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ – أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ – أَوْ يَا مُحَمَّدُ – أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وُفِّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ» ، قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ». [20]

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَقَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا، وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فَلَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ، وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ

[19] صحيح مسلم، 1/ 41، حديث (10).
[20] نفسه، 1/ 42، حديث (12).

وَرَاءَنَا، قَالَ: " آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللهِ "، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ، فَقَالَ: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُقَيَّرِ» زَادَ خَلَفٌ فِي رِوَايَتِهِ: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ، وَعَقَدَ وَاحِدَةً. [21]

كما إن وهذه الحكمة القرآنية حكمة واضحة ظاهرة جلية لا لبس فيها ولا إشكال، فعن الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ } [آل عمران: 7] إِلَى { أُولُو الْأَلْبَابِ } قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».[22]

ومن ثم فلا حصر ولا عد لفضائل القرآن الحكيم التي منها:

عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟» ، قَالَ: لاَ، قَالَ: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا،

[21] صحيح مسلم، 1/ 46، حديث (23)، وانظر: نفسه، 1/ 47، حديث (24).

[22] أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ): "سنن أبي داود"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 4/198، حديث (4598).

لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ» ، قَالَ ابْنُ الهَادِ: وَحَدَّثَنِي هَذَا الحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ.[23]

وعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلاَ رِيحَ لَهَا ". [24]

وعَنْ الحَارِثِ، قَالَ: مَرَرْتُ فِي المَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ، قَالَ: وَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ» . فَقُلْتُ: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ } [الجن: 2] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ».[25]

[23] صحيح البخاري، 190/6.
[24] نفسه، 190/6.
[25] الترمذي: "سنن الترمذي"، 172/5.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عن القرآن: " المُهَيْمِنُ: الأَمِينُ، القُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ ". [26]

وبين الطبري في مقدمة تفسيره أنّ مما خصّ الله به أمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الفضيلة، وشرَّفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، حفظَه ما حفظ عليهم سبحانه من وحيه وتنزيله، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم دلالة، وعلى ما خصه به من الكرامة علامةً واضحة، وحجةً بالغة، أبانه به من كل كاذب ومفترٍ، وفصَل به بينهم وبين كل جاحد ومُلحِد، وفرَق به بينهم وبين كل كافر ومشرك؛ الذي لو اجتمع جميعُ من بين أقطارها، من جِنِّها وإنسها وصغيرها وكبيرها، على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا. فجعله لهم في دُجَى الظُّلَم نورًا ساطعًا، وفي سُدَف الشُّبَه شهابًا لامعًا، وفي مضَلة المسالك دليلا هاديًا، وإلى سبل النجاة والحق حاديًا، { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)} [سورة المائدة: 16] . حرسه بعين منه لاَ تنام، وحاطه برُكن منه لاَ يضام، لاَ تَهِي على الأيام دعائمه، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه، ولا يجوز عن قصد المحجَّة تابعه، ولا يضل عن سُبُل الهدى مُصَاحبه. من اتبعه فاز وهُدِى، ومن حاد عنه ضلَّ وغَوَى، فهو موئلهم الذي إليه عند الاختلاف يَئِلون، ومعقلهم الذي إليه في النوازل يعقلون، وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمة ربهم التي إليها يحتكمون، وفصْل قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وعن الرضى به يصدرون، وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون. اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول في مُحْكَمه ومُتَشابهه، وحلاله وحرامه، وعامِّه وخاصِّه، ومجمَله ومفسَّره، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وتأويل آية

[26] صحيح البخاري، 181/6.

وتفسير مُشْكِله، وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه، والثبات على التسليم لمتشابهه. وأوزعنا الشكر على ما أنعمتَ به علينا من حفظه والعلم بحدوده. إنك سميع الدعاء قريب الإجابة. وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً.[27]

وأكّد الزمخشري أن الله سبحانه أنشأ القرآن الحكيم كتاباً ساطعاً تبيانه، قاطعاً برهانه، قرآنا عربياً غير ذى عوج مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية، وحياً ناطقاً ببينات وحجج، معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان، دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل، مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدّى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم، على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء، وأوفر عدداً من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادّة والمضارّة، وإلقائهم الشراشر على المعازة والمعارّة، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط، وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر، وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرّد لهم الحجة أوّلاً، والسيف آخراً، فلم يعارضوا إلا السيف وحده، على أنّ السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حدّه فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أنّ البحر قد زخر فطمّ على الكواكب، وأنّ الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب.[28]

ومن كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني: "يا (غلام) العمل بالقرآن يوقفك على منزله، والعمل بالسنة يوقفك على الرسول نبياً محمد صلى الله عليه وسلم، لا يبرج بقلبه وهمته من حول قلوب القوم، هو المطيب والمبخر لها المصفى لأسرارهم

[27] مقدمة تفسير الطبري، 1/ 5-6.

[28] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ): "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407 هـ، 1/1.

والميزن لها، هو المستفتح باب القرب لها، هو الماشطة هو السفير بين القلوب والأسرار وبين ربها عز وجل...". [29]

وقد بين ابن القيم أن الله سبحانه أَنْزَلَ القرآن لنتأمله ونتدبره، وَنَسْعَدَ بذكره، وَنَحْمِلَهُ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ وَمَعَانِيهِ، وَنُصَدِّقَ بِهِ وَنَجْتَهِدَ عَلَى إِقَامَةِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَنَجْتَنِي ثِمَارَ عُلُومِهِ النَّافِعَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ كِتَابُ الله سبحانه الدَّالُّ عَلَيْهِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَتَهُ، وَطَرِيقُهُ الْمُوَصِّلَةُ لِسَالِكِهَا إِلَيْهِ، وَنُورُهُ الْمُبِينُ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَرَحْمَتُهُ الْمُهْدَاةُ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ إِذَا انْقَطَعَتِ الْأَسْبَابُ، وَبَابُهُ الْأَعْظَمُ الَّذِي مِنْهُ الدُّخُولُ، فَلَا يُغْلَقُ إِذَا غُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا تَمِيلُ بِهِ الْآرَاءُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَالنُّزُلُ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تُقْلِعُ سَحَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي آيَاتُهُ، وَلَا تَخْتَلِفُ دِلَالَاتُهُ، كُلَّمَا ازْدَادَتِ الْبَصَائِرُ فِيهِ تَأَمُّلًا وَتَفْكِيرًا، زَادَهَا هِدَايَةً وَتَبْصِيرًا، فَهُوَ نُورُ الْبَصَائِرِ مِنْ عَمَاهَا، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ مِنْ أَدْوَائِهَا وَجَوَاهَا، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ النُّفُوسِ، وَرِيَاضُ الْقُلُوبِ، وَحَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ، وَالْمُنَادِي بِالْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ: يَا أَهْلَ الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، نَادَى مُنَادِي الْإِيمَانِ عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [الأحقاف: 31]. [30]

وبحث ابن القيم أيضاً في الْحِكْمَة الباهرة فِي هَذَا الدّين القويم وَالْملَّة الحنيفية والشريعة المحمدية الَّتِي لَا تنَال الْعبارَة كمالها، وَلَا يدْرك الْوَصْف حسنها، وَلَا تقترح

[29] الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 560 هـ): "الفتح الرباني"، دار الريان للتراث، القاهرة، بدون تاريخ، ص 76.

[30] ابن قيم الجوزية: "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، 27/1.

عقول الْعُقَلَاء وَلَو اجْتمعت، وَكَانَت على اكمل عقل رجل مِنْهُم فَوْقهَا وَحسب الْعُقُول الْكَامِلَة الفاضلة ان ادركت حسنها وَشهِدت بفضلها. وانه مَا طرق الْعَالم شَرِيعَة اكمل وَلَا اجل وَلَا اعظم مِنْهَا، فَهِيَ نَفسهَا الشَّاهِد والمشهود لَهُ وَالْحجّة والمحتج لَهُ وَالدَّعْوَى والبرهان، وَلَو لم يَأْتِ الرَّسُول ببرهان عَلَيْهَا لكفى بهَا برهاناً وَآيَة وَشَاهداً على انها من عِنْد الله، وَكلهَا شاهدة لَهُ بِكَمَال الْعلم، وسعة الرَّحْمَة وَالْبر والاحسان، والاحاطة بِالْغَيْبِ وَالشَّهَادَة، وَالْعلم بالمباديء والعواقب، وَكَمَال الْحِكْمَة، وَأَنَّهَا من اعظم نعم الله الَّتِي انْعمْ بهَا على عباده، فَمَا أنْعمْ عَلَيْهِم بِنِعْمَة أجل من أن هدَاهُم لَهَا، وجعلهم من اهلها، وَممَّنْ ارتضاهم لَهَا، فَلهَذَا امتن على عباده بَأن هدَاهُم لَهَا قَالَ تَعَالَى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) } [آل عمران: 164]. وَقَالَ مُعرفا لِعِبَادِهِ، ومذكرا لَهُم عَظِيم نعْمَته عَلَيْهِم، مستدعياً مِنْهُم شكره على أن جعلهم من اهلها { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }، الأية. وانظر كَيفَ وصف الدّين الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُم بالكمال وَالنعْمَة الَّتِي اسبغها عَلَيْهِم بالتمام إِيذَانًا فِي الدّين بِأَنَّهُ لَا نقص فِيهِ وَلَا خلل وَلَا عيب، **وَلَا شَيْء خَارِجا عَن الْحِكْمَة بِوَجْه** بل هُوَ الْكَامِل فِي حسنه وجلالته. وَوصف النِّعْمَة بالتمام إِيذَانًا بدوامها واتصالها وَأَنه لَا يسلبهم إِيَّاهَا بعد إِذْ أعطاهموها بل يكملها لَهُم بالدوام فِي هَذِه الدَّار وَفِي دَار الْقَرار. وَتَأمل حسن اقتران التَّمام بِالنعْمَةِ، وَحسن اقتران الْكَمَال بِالدّين، وَأنه أضاف الدّين اليهم، إِذْ هم القائمون بِهِ، المقيمون لَهُ. وأضاف النِّعْمَة اليه إِذْ هُوَ وَليهَا والمنعم بهَا عَلَيْهِم، فَهِيَ نعْمَته حَقًا وهم قابلوها. واتى فِي الْكَمَال بِاللَّامِ المؤذنة بالاختصاص وَأَنه شَيْء خصوا بِهِ دون الامم، وَفِي إِتْمَام النِّعْمَة بعلى المؤذنة بالاستعلاء والاشتمال والاحاطة، فجَاء أتممت فِي مُقَابلَة أكملت، وَعَلَيْكُم فِي مُقَابلَة لكم، ونعمتي فِي مُقَابلَة

دينكُ.مْ واكد ذَلِك وزاده تقريرا وكمالا وإتماما للنعمة بقوله { وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [آل عمران: 3]. [31]

قال الاستاذ النورسي عن القرآن الحكيم:

"هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لأسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم.. وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض.. وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة في سطور الحادثات.. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة.. وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية والالتفات الأبدية الرحمانية.. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الاسلامي... وكذا هو خريطة للعالم الأخروي.. وكذا هو القول الشارح والتفسير الواضح والبرهان القاطع والترجمان الساطع لذات الله وصفاته واسمائه وشؤونه.. وكذا هو مرب للعالم الانساني، وكالماء والضياء للانسانية الكبرى التي هي الاسلامية... وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر.. وهو المرشد المهدي لما خلق له البشر.. وكذا هو للانسان: كما انه كتاب شريعة كذلك هو كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد لكن فيه كتب كثيرة في مقابة جميع الحاجات الانسانية المعنوية، وكذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل". [32]

[31] ابن قيم الجوزية: "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ، 1/301 –302.

[32] النورسي: "إشارات الاعجاز في مظان الايجاز"، ط3 ، سوزلر، القاهرة، 2002 م، ص 22، وقارن مع بحثي: "مدخل إلى حكمة الاعجاز القرآني عند الامام النورسي"، بحث مقدّم إلى الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب، مؤسسة اسطمبول للثقافة والعلوم، اسطمبول، تركيا، 23–24، حزيران، 2012 م.

(2)

تأويل لمصطلح الحكمة في القرآن الكريم[33]

يقتضي البحث في علم الحكمة في القرآن الكريم أن نذهب مباشرة إلى مصطلح الحكمة القرآني نفسه، من أجل استخلاص المفهوم القرآني الدقيق له، وهو ما يشترط بالطبع العودة إلى مصادر التفسير العمدة من أجل هذه الغاية، فإلى ذلك إن شاء الله:

وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم في مواطن عدة، نذكرها كالآتي[34]:

أولاً: إصابة الوحي: الهدف النهائي لعلم الحكمة القرآنية

- **قوله سبحانه:** { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269) } [البقرة: 269].

عن مجاهد في قوله تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ } [البقرة: 269] قال: "القرآن يؤتي إصابته من يشاء".[35]

---

[33] بالنظر إلى أني قد تتبعت، بحسب التوفيق الإلهي، مفردة (الحكمة) من الناحية اللغوية في كتابي: "العروة الوثقى"، فلا أجد نفسي بحاجة إلى تكرار القول في الموضوع، وأحيل إلى: د. رواء محمود حسين: "العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة الاسلامية"، الفصل الأول: "التعريف بعلم الحكمة الاسلامية"، المبحث الأول: "المعنى اللغوي للحكمة"، ص 9 – 18.

[34] نفسه، ص 31 – 34.

وعن مقاتل بن سليمان في قوله تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ } قال: ومن يعط الحكمة، وهي علم القرآن، والفقه فيه، { فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا }، يعني: فقد أعطي خيراً كثيراً. { وَمَا يَذَّكَّرُ } فما يسمع { إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } وهم أهل العقل.[36]

وذكر الرازي في تفسير الآية أن وعد الرَّحْمَنِ تُرَجِّحُهُ الْحِكْمَةُ وَالْعَقْلُ، أما وَعْدَ الشَّيْطَانِ فتُرَجِّحُهُ الشَّهْوَةُ وَالنَّفْسُ لأنهما يَأْمُرَانِ بِتَحْصِيلِ اللَّذَّةِ الْحَاضِرَةِ وَاتِّبَاعِ أَحْكَامِ الْخَيَالِ وَالْوَهْمِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ حُكْمَ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ هُوَ الْحَكَمُ الصَّادِقُ الْمُبَرَّأُ عَنِ الزَّيْغِ وَالْخَلَلِ، وَحُكْمَ الْحِسِّ وَالشَّهْوَةِ وَالنَّفْسِ تُوقِعُ الْإِنْسَانَ فِي الْبَلَاءِ وَالْمِحْنَةِ، فَكَانَ حُكْمُ الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ أَوْلَى بِالْقَبُولِ، فَهَذَا هُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى وَجْهِ النَّظْمِ. ويشير إلى مسائل عدة في الآية، منها:

الْمُرَادُ مِنَ الْحِكْمَةِ إِمَّا الْعِلْمُ، وَإِمَّا فِعْلُ الصَّوَابِ. عَنْ مُقَاتِلٍ أَنَّهُ قَالَ: تَفْسِيرُ الْحِكْمَةِ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا: مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ، قَالَ فِي الْبَقَرَةِ { وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ } [الْبَقَرَةِ: 231] يَعْنِي مَوَاعِظَ الْقُرْآنِ. وَثَانِيهَا: الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } [مَرْيَمَ: 12] وَفِي لُقْمَانَ { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } [لُقْمَانَ: 12] يَعْنِي الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَفِي الْأَنْعَامِ: { أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ } [الْأَنْعَامِ: 89]. وَثَالِثُهَا: الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى النُّبُوَّةِ فِي النِّسَاءِ: { فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [النِّسَاءِ: 54] يَعْنِي النُّبُوَّةَ، وَفِي ص { وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ } [ص: 20] يَعْنِي النُّبُوَّةَ، وَفِي الْبَقَرَةِ { وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ } [الْبَقَرَةِ: 251]. وَرَابِعُهَا: الْقُرْآنُ بِمَا فِيهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَسْرَارِ فِي

[35] مجاهد بن جبر (ت 104هـ): "تفسير مجاهد"، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، 1410 هـ - 1989 م، ص 245.

[36] مقاتل بن سليمان: "تفسير مقاتل بن سليمان"، 1/ 223.

النَّحْلِ: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } [النَّحْلِ: 125]، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْوُجُوهِ عِنْدَ التَّحْقِيقِ تَرْجِعُ إِلَى الْعِلْمِ. وَأَمَّا الْحِكْمَةُ بِمَعْنَى فِعْلِ الصَّوَابِ فَقِيلَ فِي حَدِّهَا: إِنَّهَا التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ، ومدار هَذَا الْمَعْنَى عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى» وَاعْلَمْ أَنَّ الْحِكْمَةَ لَا يُمْكِنُ خُرُوجُهَا عَنْ هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كَمَالَ الْإِنْسَانِ فِي شَيْئَيْنِ: أَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ لِذَاتِهِ، وَالْخَيْرَ لِأَجْلِ الْعَمَلِ بِهِ، فَالْمَرْجِعُ بِالْأَوَّلِ: إِلَى الْعِلْمِ وَالْإِدْرَاكِ الْمُطَابِقِ، وَبِالثَّانِي: إِلَى فِعْلِ الْعَدْلِ وَالصَّوَابِ، فَحُكِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ { رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا } [الشُّعَرَاءِ: 83] وَهُوَ الْحِكْمَةُ النَّظَرِيَّةُ { وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } [الشُّعَرَاءِ: 83] الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَنَادَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّنِي { إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } [طه: 13] وهو الحكمة النظرية، ثم قال: { فَاعْبُدْنِي } [طه:13] وَهُوَ الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَقَالَ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ } [مَرْيَمَ: 30] الْآيَةَ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِلْحِكْمَةِ النَّظَرِيَّةِ، ثُمَّ قَالَ: { وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا } [مَرْيَمَ: 31] وَهُوَ الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَقَالَ فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } [مُحَمَّدٍ: 19] وَهُوَ الْحِكْمَةُ النَّظَرِيَّةُ، ثم قال: { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } [غافر: 55] [مُحَمَّدٍ: 19] وَهُوَ الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَقَالَ فِي جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ { أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } [النَّحْلِ: 2] وَهُوَ الْحِكْمَةُ النظرية: ثم قال: فَاتَّقُونِ وَهُوَ الْحِكْمَةُ الْعَمَلِيَّةُ، وَالْقُرْآنُ هُوَ مِنَ الْآيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ كَمَالَ حَالِ الْإِنْسَانِ لَيْسَ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ، قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: الْحِكْمَةُ فِعْلَةٌ مِنَ الْحُكْمِ، وَهِيَ كَالنَّحْلَةِ مِنَ النَّحْلِ، وَرَجُلٌ حَكِيمٌ إِذَا كَانَ ذَا حِجًى.[37]

[37] فخر الدين الرازي (ت 606هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420 هـ، 57/7-58. في السياق نفسه نشير إلى أن تقسيم الرازي للحكمة إلى النظرية والعملية قد سار عليه الفلاسفة من قبل، ونجد هذا التقسيم عند

ثانياً: الحكمة منهاجاً للدعوة إلى الله:

- **قوله تعالى:** { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) } [النحل: 125].

ذكر الماوردي في تفسير الآية الكريمة أن المراد بقوله عز وجل: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ } يعني إلى دين الله سبحانه وهو الإسلام. أما قوله تعالى: { بِالْحِكْمَةِ } ففيه تأويلان: أحدهما: بالقرآن، قاله الكلبي. الثاني: بالنبوة، وهو محتمل. { وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } فيها تأويلان: أحدهما: بالقرآن في لين من القول، قاله الكلبي. الثاني: بما فيه من الأمر والنهي، قاله مقاتل. وقوله تعالى: { وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } فيه أربعة أوجه: أحدها: يعني بالعفو. الثاني: بأن توقظ القلوب ولا تسفه العقول. الثالث: بأن ترشد الخلف ولا تذم السلف. الرابع: على قدر ما يحتملون. [38]

وقال الله تعالى: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ

الكندي، والفارابي، وابن سينا على سبيل المثال، ينظر: رواء محمود حسين: "مشكلة النص والعقل في الفلسفة الاسلامية: دراسات منتخبة"، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427 هـ – 2006م، ص 54، 71، 92–93.

[38] الماوردي (ت 450 هـ): تفسير الماوردي = النكت والعيون"، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، بدون تاريخ، 220/3.

كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257) }.

ذكر الطبري في تأويل كلمة التوحيد في الآية المباركة ما يأتي:

وأما تأويل قوله: { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ }، فإن معناه: النهي عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية. لا إله سواه، لا معبود سواه، يعني: ولا تعبدوا شيئا سوى الحي القيوم الذي لا يأخذه سِنة ولا نوم والذي صفته ما وصف في هذه الآية. وهذه الآية إبانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به أقوال المختلفين في البينات من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره أنه فضل بعضهم على بعض واختلفوا فيه، فاقتتلوا فيه كفرا به من بعض، وإيمانا به من بعض. فالحمد لله الذي هدانا للتصديق به، ووفقنا للإقرار. وأما قوله: { الْحَيُّ } فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها.[39]

ثالثاً: الحكمة البالغة:

- **قوله تعالى:** { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) } [القمر:5].

[39] تفسير الطبري، 5/ 386 – 387.

يقول الواحدي: { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ } أي: حكمة تامة، قد بلغت الغاية. [40] وقال القرطبي: يعني القرآن الكريم.[41]

رابعاً: الحكمة في ميثاق النبيين:

- **قوله تعالى:** { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) } [آل عمران: 81].

يبين الفخر الرازي أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ تَعْدِيدُ تَقْرِيرِ الْأَشْيَاءِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ وَإِظْهَارًا لِعِنَادِهِمْ. وَمِنْ ذلك مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ بِأَنَّهُمْ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ آمَنُوا بِهِ وَنَصَرُوهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ قَبِلُوا ذَلِكَ وَحَكَمَ تَعَالَى بِأَنَّ مَنْ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ، فَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ. فبذلك يتبين أَنَّهُ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ الْإِيمَانَ بِكُلِّ رَسُولٍ جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ. إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ الْوَاحِدَةَ لَا تَكْفِي فِي إِثْبَاتِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَضُمَّ إِلَيْهَا مُقَدِّمَةً أُخْرَى، وَهِيَ

---

[40] الواحدي (ت 468 هـ): "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415 هـ – 1994 م، 208/4.

[41] القرطبي: "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 128/17، وانظر للتوسع: تفسير الطبري، 22/ 572، وتفسير الرازي، 291/29.

أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ، وَعِنْدَ هَذَا لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: هَذَا إِثْبَاتٌ لِلشَّيْءِ بِنَفْسِهِ، لِأَنَّهُ إِثْبَاتٌ لِكَوْنِهِ رَسُولًا بِكَوْنِهِ رَسُولًا، وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ كَوْنِهِ رَسُولًا ظُهُورُ الْمُعْجِزِ عَلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ يَسْقُطُ هَذَا السُّؤَالُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ويذكر الرازي أن الْكِتَاب هُوَ الْمُنَزَّلُ الْمَقْرُوءُ وَالْحِكْمَةُ هِيَ الْوَحْيُ الْوَارِدُ بِالتَّكَالِيفِ الْمُفَصَّلَةِ الَّتِي لَمْ يَشْتَمِلِ عَلَيْهَا الْكِتَابُ.[42]

خامساً: في الحكمة الإبراهيمية:

- **قوله تعالى:** { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: 129].

ذكر الطبري بعض الآراء في تأويل معنى الحكمة الواردة في قوله تعالى أعلاه. فعن قتادة: { وَالْحِكْمَةَ } أي السنة. وقال بعضهم: { وَالْحِكْمَةَ } هي المعرفة بالدين والفقه فيه. وبسند الطبري إلى ابن وهب قال: قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: " المعرفة بالدين، والفقه في الدين، والاتباع له". ويورد أيضاً عن ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: { وَالْحِكْمَةَ } الدين الذي لا يعرفونه إلا به صلى الله عليه وسلم، يعلمهم إياها. قال: { وَالْحِكْمَةَ } العقل في الدين، وقرأ: { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة: 269] ، وقال لعيسى، { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) } [آل عمران: 48] قال، وقرأ ابن زيد: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا } [الأعراف: 175] قال، لم ينتفع بالآيات، حيث لم تكن معها

[42] تفسير الفخر الرازي، 237/8 – 277.

حكمة. قال: { وَالْحِكْمَةَ } شيء يجعله الله في القلب، ينور له به. ويرى الطبري: أن { الْحِكْمَةَ }: "العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره. وهو عندي مأخوذ من"الحكم" الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل، بمنزلة "الجِلسة والقِعدة" من "الجلوس والقعود"، يقال منه:"إن فلانا لحكيم بين الحكمة"، يعني به: إنه لبين الإصابة في القول والفعل. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم، وفصل قضائك وأحكامك التي تعلمه إياها". [43]

- **قوله تعالى:** { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) } [النساء: 54].

يبين الطبري أن الحكمة هنا ما أوحي إلى آل إبراهيم مما لم يكن كتاباً مقروءاً. [44] ويشير ابن كثير أن الله سبحانه قد جعل فِي الأسباط، الَّذِينَ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ النُّبُوَّةَ وَأَنْزَل عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ وَحَكَمُوا فِيهِمْ بِالسُّنَنِ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ، وَجَعَلَ منهم الْمُلُوكَ وَمَعَ هَذَا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، أَيْ بِهَذَا الْإِيتَاءِ وَهَذَا الْإِنْعَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ أَيْ كَفَرَ بِهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ وَسَعَى فِي صَدِّ النَّاسِ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْهُمْ وَمِنْ جِنْسِهِمْ. [45]

سادساً: في الحكمة الداوودية:

[43] الطبري (ت 310 هـ): "جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، 88/3.

[44] تفسيرالطبري، 8/ 480.

[45] ابن كثير (ت 774 هـ): "تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، 1419 هـ، 2/ 296.

- **قوله سبحانه:** { فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) } [البقرة: 251].

نقل ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الحكمة الواردة في الآية الكريمة أنها النبوة، ونقل عن مقاتل أنها الزبور. [46]

وفي قصة جالوت، يروي الطبري بسنده إلى السدي أنه قال: كان أهل الكتاب يقاتلون العمالقة، وكان جالوت ملك العمالقة، وأنهم تغلبوا على أهل الكتاب فأخذوا توراتهم، وضربوا عليهم الجزية. وكان أهل الكتاب يسألون الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه. وكان سبط النبوة قد هلكوا، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى، فأخذوها فحبسوها في بيت، رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام، لما ترى من رغبة الكتابيين في ولدها. فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً، فولدت غلاماً فسمته شمعون. فكبر الغلام، فأرسلته يتعلم التوراة في بيت المقدس، وكفله شيخ من علمائهم وتبناه. فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبياً، أتاه جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحداً غيره فدعاه بلحن الشيخ:"يا شماول! "، فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ، فقال: يا أبتاه، دعوتني؟ فكره الشيخ أن يقول:"لا"، فيفزع الغلام، فقال: يا بني ارجع فنم! فرجع فنام. ثم دعاه الثانية، فأتاه الغلام أيضاً فقال: دعوتني؟ فقال: ارجع فنم، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني! فلما كانت الثالثة، ظهر له جبريل فقال: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فإن الله قد بعثك فيهم نبياً. [47]

---

[46] ابن الجوزي (ت 597هـ): " زاد المسير في علم التفسير"، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1422 هـ، 227/1.

[47] الطبري: "جامع البيان"، 299/5.

وبسند الطبري إلى وهب بن منبه يحدث قال: لما خرج أو لما برز طالوت لجالوت، قال جالوت: أبرزوا إلي من يقاتلني، فإن قتلني فلكم ملكي، وإن قتلته فلي ملككم. فأتي بداود إلى طالوت، فقاضاه إن قتله أن ينكحه ابنته، وأن يحكمه في ماله. فألبسه طالوت سلاحاً، فكره داود أن يقاتله بسلاح، وقال: إن الله لم ينصرني عليه، لم يغن السلاح، فخرج إليه بالمقلاع، وبمخلاة فيها أحجار، ثم برز له. قال له جالوت: أنت تقاتلني، قال داود: نعم، قال: ويلك، ما خرجت إلا كما يخرج إلى الكلب بالمقلاع والحجارة، لأبددن لحمك، ولأطعمنّه اليوم الطير والسباع. فقال له داود: بل أنت عدو الله شر من الكلب، فأخذ داود حجراً ورماه بالمقلاع، فأصابت بين عينيه حتى نفذ في دماغه، فصرع جالوت وانهزم من معه، واحتز داود رأسه. فلما رجعوا إلى طالوت، ادّعى الناس قتل جالوت، فمنهم من يأتي بالسيف، وبالشيء من سلاحه أو جسده، وخبأ داود رأسه. فقال طالوت: من جاء برأسه فهو الذي قتله، فجاء به داود، ثم قال لطالوت: أعطني ما وعدتني، فندم طالوت على ما كان شرط له، وقال: إن بنات الملوك لا بد لهن من صداق وأنت رجل جريء شجاع، فاحتمل صداقها ثلاثمئة غلفة من أعدائنا. وكان يرجو بذلك أن يقتل داود. فغزا داود وأسر منهم ثلاثمئة وقطع غلفهم، وجاء بها. فلم يجد طالوت بداً من أن يزوجه، ثم أدركته الندامة. فأراد قتل داود حتى هرب منه إلى الجبل، فنهض إليه طالوت فحاصره. فلما كان ذات ليلة سلط النوم على طالوت وحرسه، فهبط إليهم داود فأخذ إبريق طالوت الذي كان يشرب منه ويتوضأ، وقطع شيئا من هدب ثيابه وشعرات من لحيته، ثم رجع داود إلى مكانه فناداه: أن [قد نمت ونام] حرسك، فإني لو شئت أقتلك البارحة فعلت، فإنه هذا إبريقك، وشيء من شعر لحيتك وهدب ثيابك! وبعث [به] إليه، فعلم طالوت أنه لو شاء قتله، فعطفه ذلك عليه فأمنه، وعاهده بالله لا يرى منه بأساً. ثم

انصرف. ثم كان في آخر أمر طالوت أنه كان يدس لقتله. وكان طالوت لا يقاتل عدواً إلا هزم، حتى مات.[48]

- **وقوله تعالى** عن نبيه داود عليه الصلاة والسلام: { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20) } [ص: 20].

كما إن الله سبحانه قد اعطى نبيه داود عليه السلام الحكمة وفصل الخطاب، فقال تعالى: { وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ } يعني: وأعطيناه الفهم والعلم { وَفَصْلَ الْخِطَابِ } يعني: فصل القضاء، وهو البينة على المدعي واليمين على من أنكر.[49]

سابعاً: في الحكمة العيسوية:

- **قوله سبحانه** عن نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48)} [آل عمران: 48].

يرى ابن عطية أن الحكمة هنا هي السنة التي يتكلم بها الانبياء في الشرعيات والمواعظ ونحو ذلك، مما لم يوح إليهم في كتاب ولا بملك، لكنهم يلهمون إليه وتقوى غرائزهم عليه، كما إنها الإصابة في القول والعمل، فذكر الله تعالى في هذه الآية أنه يعلم عيسى عليه السلام الحكمة، والتعليم متمكن فيما كان من الحكمة بوحي أو مأثورا عمن تقدم عيسى عليه السلام من نبي وعالم، وأما ما كان من حكمة عيسى عليه السلام الخاصة به فإنما يقال فيها يعلمه على معنى يهيىء غريزته لها، ويجعله

[48] الطبري: "جامع البيان"، 355/5 – 356، وقارن القصة بتمامها عند الطبري: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، دار التراث – بيروت، ط2، 1387 هـ، 467/1 وما بعد، وابن كثير (ت 774هـ): "البداية والنهاية"، تحقيق علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1408، هـ – 1988 م، 2/ 6، ومابعد.

[49] تفسير مقاتل، 3/ 639. وقارن: عبد الله بن وهب (ت 197 هـ): "تفسير القرآن من الجامع لابن وهب"، تحقيق ميكلوش موراني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2003 م، 8/1.

يتمرن في استخراجها، ويقدره، ويجري ذهنه إلى ذلك. والتَّوْراةَ هي المنزلة على موسى عليه السلام، ويروى أن عيسى كان يستظهر التوراة وكان أعمل الناس بما فيها، ويروى أنه لم يحفظها عن ظهر قلب إلا أربعة، موسى ويوشع بن نون [وعزير] وعيسى عليهم السلام، وذكر الْإِنْجِيلَ لمريم وهو ينزل- بعد- لأنه كان كتاباً مذكوراً عند الأنبياء والعلماء وأنه سينزل.[50]

- **قوله تعالى:** { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110) } [المائدة: 110].

يبين الطبري أن الحكمة هنا هي الفهم بمعاني الكتاب الذي نزّل على عيسى عليه السلام. [51].

والحكمة هنا عند البغوي العلم والفهم والتوراة والإنجيل. [52]

- **قوله تعالى** عن نبيه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام: { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (63) } [الزخرف: 63].

---

[50] ابن عطية الأندلسي (ت 542 هـ): "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ، 438/1، وقارن مع الطبري: "جامع البيان"، 422/6.

[51] تفسير الطبري، 11/ 215.

[52] البغوي (ت 510 هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن" = تفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، ، 1420 هـ، 2/ 101.

ذهب الطبري أن الحكمة هنا النبوة. [53] والآلوسي أن الحكمة هنا الإنجيل. [54]

سابعاً: في الحكمة اللقمانية:

- **قوله تعالى:** { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) } [لقمان: 12].

وعن مجاهد أيضاً في قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } [لقمان: 12]، "يعني: الفقه والعقل والإصابة في القول في غير نبوة". [55]

ويقول مقاتل بن سليمان في تفسير قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ } [لقمان: 12]: أي أعطيناه الفهم والعلم من غير نبوة فهذه نعمة. فقلنا له: { أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ } فيما أعطاك من الحكمة، { وَمَنْ يَشْكُرْ } تعالى في نعمه فيوحده { فَإِنَّمَا يَشْكُرُ } أي: يعمل الخير { لِنَفْسِهِ } { وَمَنْ كَفَرَ } النعم فلم يوحد ربه سبحانه { فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } أي عن خلقه في سلطانه. [56]

ثامناً: في الحكمة المحمدية:

[53] تفسير الطبري، 21/ 634.

[54] الآلوسي (ت 1127 هـ) :"روح البيان"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ، 8 / 385.

[55] تفسير مجاهد، ص 541. وقارن مع تفسير يحيى بن سلام (ت 200 هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1425 هـ – 2004 م، 2/ 672.

[56] تفسير مقاتل، 3/ 434.

- **قوله تعالى:** { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) } [آل عمران:164].

يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية أن الله سبحانه أنعم على من آمن مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم من قومه وتخصيصهم مع أن نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها. إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ من نسبهم، أو من جنسهم عربياً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به. والنبي صلى الله عليه وسلم من أشرفهم لأنه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم. يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِ القرآن بعد ما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي. وَ يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والأعمال. { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } أي القرآن والسنة. وَإِنْ كانُوا من قبل بعثة الرسول صلّى الله عليه وسلّم في ضلال ظاهر.[57]

- **قوله تعالى:** { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113) } [النساء: 113].

يذكر الطبري أن المراد بقوله تعالى: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }: ومن فضل الله عليك، يا محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، مع سائر ما تفضَّل به عليك من نعمه، أنه أنزل عليك الكتاب، وهو القرآن الذي فيه بيان كل شيء وهدًى وموعظة، والحكمة، وهي ما كان في الكتاب مجملا ذكره، من حلاله وحرامه، وأمره

[57] البيضاوي (ت 685 هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418 هـ، 64/2.

ونهيه، وأحكامه، ووعده ووعيده { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ } من خبر الأولين والآخرين، وما كان وما هو كائن، فكل ذلك من فضل الله عليك، يا محمد، صلى الله عليه وآله وسلم مُذْ خلقك، فاشكره على ما أولاك من إحسانه إليك، بالتمسك بطاعته.[58] ويبين ابن كثير أن الكتاب هنا القرآن الكريم والحكمة السنة النبوية. [59]

- **قوله سبحانه:** { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) } [البقرة: 151].

بيّن الشافعي أن الله سبحانه فرض في كتابه اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم. وذكر أن الله سبحانه قال: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة: 151]. وقال: "سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة: سنة رسول الله. وهذا يشبه ما قال لأن القرآن ذكر وأتبِعَتْهُ الحكمة، وذكر اللَّه سبحانه مَنَّهُ على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز أن يقال الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله سلم. وذلك أنها مقرونة مع كتاب اللَّه، وأن اللَّه افترض طاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأوجب على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول: فرضٌ إلا لكتاب اللَّه ثم سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. لما تبين أن اللَّه جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به. وسنة رسول اللَّه مبيّنة عن اللَّه معنى ما أراد دليلاً على خاصّه وعامّه. ثم قَرَنَ الحكمة بها بكتابه فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحدٍ

[58] تفسير الطبري، 9 / 200.
[59] تفسير ابن كثير، 2/364.

من خلقه غيرِ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قَرَنَ الحكمة بها بكتابه فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحدٍ من خلقه غيرِ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.[60]

- **قوله سبحانه:** { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231) } [البقرة: 231].

الحكمة هنا، ينقل الشوكاني، هي السنة التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. [61]

- **قوله تعالى:** { ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39) } [الاسراء: 39].

يقول مقاتل بن سليمان: أي في هؤلاء الآيات التي أوحاها الله إليك يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). [62]

لا بل إن آيات آخرى من القرآن الكريم قد نزلت تأييداً للمفاهيم السابقة. فبين مقاتل أن اليهود قد جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم بإن في التوراة علم كل شيء وقال الله تبارك وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم قل لليهود { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: 85] عندي كثيراً عندكم وعلم التوراة عندكم كثير، فقالوا للنبي

[60] تفسير الامام الشافعي (ت 204 هـ): جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، ط1، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، 1427 – 2006 م، 1/ 241.

[61] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ): "فتح القدير"، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، 1414 هـ، 278/1.

[62] تفسير مقاتل بن سليمان: نفسه، 2/ 531.

صلى الله عليه وسلم: من قال هذا؟ فو الله ما قاله لك إلا عدو لنا يعنون جبريل عليه السلام، ثم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: خاصة لنا أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل الناس كلهم عامة. فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ولا أنت ولا أصحابك. فقال: نعم. فقالوا: كيف تجمع بين هاتين؟ تزعم أنك أوتيت الحكمة { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } وتزعم أنك لم تؤت من العلم إلا قليلاً. فنزل قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ } [لقمان: 27].[63]

- **قوله تعالى:** { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34) } [الاحزاب: 34].

بيّن الإمام الشافعي أن اللّه تعالى فرض على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة: 129]. وقال تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [آل عمران: 167]، وقال سبحانه: { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ } [الاحزاب: 34] وقال الشَّافِعِي: "فذكر اللّه تعالى الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت

[63] تفسير مقاتل بن سليمان، 548/2، 605. وانظر تخريج الحديث عند: الترمذي: "الجامع الصحيح"، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، الصفحة أو الرقم 3140، خلاصة حكم المحدث: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، و الألباني: "ظلال الجنة في تخريج "السنة"، الصفحة أو الرقم: 595، خلاصة حكم المحدث: صحيح، وابن دقيق العيد: "الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المعدوة في الصحاح"، دار الباز، مكة، 1405 هـ، الصفحة أو الرقم: 104، خلاصة حكم المحدث: صحيح، والألباني: "صحيح سنن الترمذي"، تحقيق زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1408 هـ، الصفحة أو الرقم 3140، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح، مقبل بن هادي الوادعي: "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"، ط1، مكتبة دار القدس، صنعاء، 1411 هـ، الصفحة أو الرقم 182، خلاصة حكم المحدث: صحيح الإسناد ورجاله ثقات مشهورون.

من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم". وهذا يشبه ما قال، واللَّه أعلم، بأن القرآن ذكر واتبعته الحكمة، وذكر الله تعالى منّته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة. فلم يجز أن تعدّ الحكمة هنا إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنها مقرونة مع كتاب اللَّه، وأن الله قد افترض طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوجب على الناس اتباع أمره. فلا يجوز أن يقال لقول: فرض إلا لكتاب الله، ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبّينة عن الله ما أراد دليلاً على خاصه وعامّه، ثم قرن الحكمة بكتابه، فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.[64]

- **قوله تعالى:** { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) } [الجمعة:3].[65]

وعن ابن وهب، قال: حدثني مالك، عن زيد بن أسلم في قول الله تعالى: { وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا } [الأنبياء: 79]، قال زيد: "إن الحكمة العقل". وقال الامام مالك: "وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله، وأمرٌ يدخله الله القلوب برحمته وفضله".[66]

وقال ابن وهب : وقال لي مالك في قول الله: { وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } [مريم: 12]، أي الكتاب والحكمة؛ قال مالك: الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به. وقال مالك أيضاً: ومما يبين ذلك أنك [تجد رجلا] عاقلاً في أمر الدنيا ذا نظر فيها ضعيفاً في أمر الله وآخرته، [وتجد آخر ضعيفاً] في أمر دنياه عالماً بأمر دينه بصيراً

[64] تفسير الامام الشافعي، 1/ 233 – 224.

[65] عن كلمة (الحكمة) في القرآن الكريم، انظر: محمد فؤاد عبد الباقي: "المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف"، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ، ص 214.

[66] عبد الله بن وهب: "تفسير القرآن من الجامع لابن وهب"، 130/1.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

به يؤتيه الله [إياه ويحرمه هذا (؟)] ، فالحكمة: الفقه في دين الله. وعن ابن وهب قال: وحدثني أيضا ابن زيد عن أبيه في قول الله: { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ } ، فقال: الحكمة العقل في الدين.[67]

[67] تفسير القرآن الجامع لابن وهب، 130/1، 160.

خاتمة

توحيد الله سبحانه وإخلاص العبادة له القضية الأساسية التي جاء بها القرآن الكريم.

الحكمة في القرآن الكريم تأتي في سياق إما أن تكون هي الوحي نفسه، أي القرآن الكريم أو السنة النبوية، أو أن تكون الفهم العقلي والانساني الناتج عن التأمل في الوحي وتطبيقه. وبهذا يمكن أن نقول أنها تعني التحقق من المفهوم الدقيق للآية القرآنية وصولاً إلى أقرب دلالة للوحي من أجل أن يكون تطبيق هذه الدلالة في الواقع المنظور تطبيقاً صحيحاً.

وهذه الحكمة تامة كاملة لأنها حكمة إلهية. وتكتسب هذه الحكمة الاسلامية صفة الإلزام في الأتباع من الأمر الإلهي المتكرر بوجوب طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وهي مرادفة مرادفة لمعنى الإيمان.

وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم في مواطن عدة، فهي تعني إصابة الوحي في القرآن الكريم، وهي منهاج الدعوة إلى الله، حكمة بالغة، وموجودة في الميثاق الذي أخذه الله سبحانه على النبيين، كما هو الحال في الحكمة الإبراهيمية، والحكمة الداوودية، و الحكمة العيسوية، و الحكمة المحمدية.

قائمة المصادر والمراجع

1-الآلوسي (ت 1127 هـ) :"روح البيان"، دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.

2-الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ.

3-الألباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ.

4-_____: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1421 – 2000 م.

5-_____: "صحيح سنن الترمذي"، تحقيق زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1408 هـ.

6-البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر،ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، 1422هـ [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر]، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

7-البغوي (ت 510 هـ): "معالم التنزيل في تفسير القرآن" = تفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، ، 1420 هـ.

8-البيضاوي (ت 685 هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1418 هـ.

9-البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ.

10- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاكأبو عيسى (ت 279هـ): "سنن الترمذي"، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395 هـ - 1975 م.

11- _____: "الجامع الصحيح"، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

12- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ): "العبودية"، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الطبعة السابعة المجددة، المكتب الإسلامي – بيروت، 1426هـ - 2005م، (هذه الرسالة مطبوعة أيضًا ضمن "مجموع الفتاوى" 149/10، وفي "الفتاوى الكبرى" 155/5).

13- الجيلاني، الشيخ عبد القادر (ت 560 هـ): "الفتح الرباني"، دار الريان للتراث، القاهرة، بدون تاريخ.

14- أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: 150هـ): الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، ط1، مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، 1419هـ – 1999م.

15- حسين، رواء محمود: "العروة الوثقى: مدخل إلى علم الحكمة الإسلامية"، ط1، دار ناشري للنشر الأليكتروني، الكويت، 1434 هـ – 2013 م .

16- _____: "شرعة ومنهاج: أصول المنهج العلمي في علم الحكمة الإسلامية"، ط1، دار ناشري للنشر الاليكتروني، الكويت، 1435 هـ – 2014 م.

17- _____: "مشكلة النص والعقل في الفلسفة الاسلامية: دراسات منتخبة"، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1427 هـ – 2006م.

18- _____: "مدخل إلى حكمة الاعجاز القرآني عند الامام النورسي"، بحث مقدّم إلى الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب، مؤسسة اسطمبول للثقافة والعلوم، اسطمبول، تركيا، 23-24، حزيران، 2012 م.

19- الرازي، فخر الدين (ت 606هـ): "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1420 هـ.

20- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت 538هـ): "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407 هـ.

21- السجستاني، أبو داود سليمان بن الاشعث: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ.

ونسخة أخرى: "سنن أبي داود"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، بدون تاريخ.

22- الشافعي (ت 204 هـ): "الرسالة"، تحقيق أحمد شاكر، ط1، مكتبه الحلبي، مصر، 1358هـ/1940م.

23- _____: تفسير الامام الشافعي (ت 204 هـ): جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، ط1، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، 1427 – 2006 م.

24- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ): "فتح القدير"، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، 1414 هـ.

25- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ – 2000 م.

26- _____: : تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، دار التراث – بيروت، ط2، 1387 هـ.

27- عبد الباقي، محمد فؤاد: "المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف"، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ.

28- ابن عطية الأندلسي (ت 542 هـ): "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ.

29- القرطبي (ت 671 هـ): "الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي"، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية – القاهرة ، 1384هـ – 1964 م.

30- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت 751هـ): "مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين"، محمد المعتصم بالله البغدادي، ط3، دار الكتاب العربي - بيروت، 1416 هـ - 1996م.

31- _____: "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة"، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

32- ابن كثير (ت 774هـ): "البداية والنهاية"، تحقيق علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1408، هـ - 1988 م.

33- الماوردي (ت 450 هـ): تفسير الماوردي = النكت والعيون"، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، بدون تاريخ.

34- مجاهد بن جبر (ت 104هـ): "تفسير مجاهد"، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، 1410 هـ - 1989 م.

35- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): " المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" المعروف ب (صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

36- مقاتل بن سليمان، أبو الحسن، بن بشير الأزدي البلخى (ت 150هـ): "تفسير مقاتل بن سليمان"، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط1، دار إحياء التراث – بيروت، 1423 هـ.

37- الندوي، أبو الحسن الحسني: " العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية"، ط2، دار القلم، الكويت، 1403 هـ - 1983 م.

38- النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ.

39- النورسي: "إشارات الاعجاز في مظان الايجاز"، ط3 ، سوزلر، القاهرة، 2002 م.

40- النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ.

41- الواحدي (ت 468 هـ): "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1994 م.

42- الوادعي، مقبل بن هادي: "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"، ط1، مكتبة دار القدس، صنعاء، 1411 هـ.

43- ابن وهب، عبد الله (ت 197 هـ): "تفسير القرآن من الجامع لابن وهب"، تحقيق ميكلوش موراني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2003 م.

44- يحيى بن سلام (ت 200 هـ): " تفسير يحيى بن سلام"، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1425 هـ - 2004 م.